خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٨ من المحرم ١٤٣٦ هـ / ٢١ من تشرين الثاني ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم. اللهم تتابع برك، واتصل خيرك، وكمل عطاؤك، وعمت فواضلك، وتمت نوافلك، وبَرَّ قسمك، وصدق وعدك، وحُقَّ على أعدائك وعيدك، فلم تبق حاجة لنا إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم مُلاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ الأحزاب

معاشر الأخوة في طريق كل نهضة ترمق المستقبل بالأمل وتغالب مصاعب الحاضر بشدة العزم وطول العمل، تجد صنفين من الناس هم أبداً مسار فتنة ومصدر يأس، فأما الصنف الأول فهم المعوقون الذين يَعترضون ببلادتهم كل حركة، وبتشاؤمهم كل رجاء، فإذا رأوا مشروعاً جيداً خلقوا في وجهه الصعاب، وإذا رأوا نية صادقة أثاروا حولها الريب، وإذا رأوا طليعة زاحفة وضعوا أمامها العراقيل، كأن سُرورهم لا يتم في هذه الحياة إلا إذا سَكبوا من بُرودهم على كل حَرارة فأطفئوا لهبها واطمئنوا إلى ظلامها، لأنهم لا يُحبون الخير ولا يُطيقون أن يَروا بَوادره تنبت بين الآخرين، ويأتي بعد هذا الصنف من المعوقين صِنف المهرجين، وهم يَتفقون مع زملائهم في خراب القلب مِن الخير وتمني نجاحه، بَيْدَ أنَّ لهم مسلكاً مُلتوياً في التعبير عما في ضمائرهم من شَر، فهم في صفوف العاملين يُكثرون السواد ويملؤون الجو هتافاً وصياحاً، فإن يكن نصر كانوا أول المطالبين بحقوقهم في الغنيمة، وإن بَدت نُذر الكفاح بَدأت صيحاتهم العالية

تخفق ونظراتهم الداوية ترتعش، يدفعون غيرهم إلى الأمام بعنف ثم يبحثون عن أماكنهم هناك في مؤخرة الصفوف وقلوبهم تدق رعباً بانتظار النتيجة، وفي الصنفين جَميعاً يقول القرآن: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ [الأحزاب:١٨-١٩] وأمثال هؤلاء الناس يَستطيعون أن يبرزوا على عجل في أي ميدان، فليس أَيسر على المعوق والمهرج مِن الظهور ما دَامت وسائل التقدم لا تَعني أكثر مِن حُنجرة صَيَّاحة ونفس لحوحة وحَياء قليل وثَبات ضَئِيل، ولكن الميادين التي تَحفل بهؤلاء هِي ميادين الهزيمة لا ميادين الشرف، وعلى كل مُجتمع يُريد أن يدعم أركانه بلى على كل صَفٍّ يُريد أن يَصون كيانه أو يَحفظ كيانه أن ينفي هذا الخبث عنه، فما ابتلي الشرق في نهضاته الأخيرة إلا لأن المعوقين والمهرجين وجدوا المجال لنفث سمومهم، بل وجدوا الفرصة لإقصاء العاملين الصامتين والشهداء المجهولين، فالمعوقون –يا سادة– قوم يتمنون وقوع الخطأ من الناس، حتى إذا زلت أقدامهم وثبوا على المخطئ، وظاهر أمرهم الغضب لحدود الله والحرص على المصلحة العامة، أما باطنه فالتنفيس عن رغبات الوحش الكامن في دمائهم يُريد أن يَمدح المارة ويمزق أديمهم، علامة هؤلاء أن يضخموا التوافه ويتاجروا بالخلافات ويَتلمسوا للأبرياء العيوب، وهؤلاء وصفهم الله بقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾ [مُحَمَّد:٣٠] انظروا بما خَتم الله الآية، والله يعلم أعمالكم.

لقد خطب النبي ﷺ يَوماً خُطبة قال فيها: (إن منكم منافقين فمن سميت فليقم) ثم قال: (قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان) حتى سمى ستة وثلاثين رجلاً، ثم قال: (إنَّ فيكم أو منكم منافقين فاتقوا الله).

يا سادة: الإسلام كسائر رسلات السماء يعتمد في إصلاحه العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شيء، فهو يُكرس جُهوداً ضَخمة للتغلغل في أعماقها وغرس تعاليمه في جوهرها حتى تصير جزءاً مِنها، وما خُلدت رسالات النبيين وكونت حولها جماهير المؤمنين إلا لأن النفس الإنسانية كانت موضوع عملها ومحور نشاطها، فتعاليمهم لم تَكن قُشوراً ملصقة فتسقط في مضطرب الحياة المتحركة، ولا ألوان مُفتعلة تَذهب على مر الأيام، لا، لقد خلطوا مبادئهم بطوايا النفس فأصبحت هذه المبادئ قوة تهيمن على وساوس الطبيعة البشرية وتتحكم في اتجاهاتها، وربما تَحدثت رِسالات السماء عن المجتمع وأوضاعه والحكم

وأنواعه، وقَدَّمت أدوية لما يَعرو هذه النَّواحي من علل، ومع ذلك فالأديان لا تَخرج عن طبيعتها في اعتراضها أن النفس الصالحة هي البرنامج المنظم لكل إصلاح والخلق القوي هو الضمان الخالد لكل حضارة، وليس في هذا -أيها الإخوة- غض ولا تهويل من عمل الساعين لبناء المجتمع والدولة، بل هو تنبيه بقيمة الإصلاح النفسي لصيانة الحياة وإسعاد الأحياء، فالنفس المختلة تُثير الفوضى وتستطيع إيثار الفَوضى في أعظم النُّظم، وتستطيع النفاذ به إلى أغراضها الدنيئة، والنفس الكريمة تُرقع الفتوق بالأحوال المختلة، ويَنتشر نُورها مِن كيانها، النفس الكريمة هي التي تسلك المسلك الحق، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها.

إن القاضي النزيه يكمل بعدله نَقص القانون الذي يحكم به، أما القاضي الجائر فهو يَستطيع الميل بالنصوص المستقيمة، وكذلك نفس الإنسان حين تواجه ما في الدنيا من تيارات وأفكار ورغبات ومصالح، ومن هنا كان الإصلاح النفسي الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة، فإذا لم تصلح النفوس -يا سادة- إذا لم تصلح نفوسنا أَظلمت الآفاق، وسادت الفِتن حَاضر الناس ومستقبلهم، ولذلك يقول الله جلا جلاله للإنسانية والبشرية جمعاء: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] ويقول معللاً هَلاك الأمم السابقة والفاسدة: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢] والإسلام في عِلاجه للنفس يَنظر إليها من ناحيتين اثنتين ابتغاء إصلاحها:

الأولى: أن فيها فطرة طيبة تغفو إلى الخير وتسر بإدراكه، وتأسى للشر وتحزن من ارتكابه، وترى في الحق امتداد وجودها وصيانة صحتها.

الثاني: أن فيها نزعات طائشة تشرد بها عن سواء السبيل وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر ويوسف بها إلى منحدر سحيق.

ولا يَهمنا -أيها الإخوة- أن نستقصي من أصول هذه النزعات السيئة الناحية التاريخية لنعرف أهي طارئة على فطرة الإنسان أم مخلوقة معها، وأن ما يَهمنا أن هذه وتلك مَوجودتان في الإنسان يتنازعان قياده ومصيره معلق بالناحية التي يستسلم بها، وإلى ذلك أشار القرآن بقوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠] لذلك

الإسلام يعتبر المعوقين نباتات سامة في حقول الإصلاح، احفظ هذه العبارة أيها المسلم، الإسلام يعتبر المعوقين الذين يَضعون العصي في عجلات البر والخير، الذين يَعملون على تعطيل كل عمل فِيه خَير للأمة، فيه مصلحة للأمة، الإسلام يعتبر هؤلاء المعوقين نباتات سامة في حقول الإصلاح، وكم يُؤسفنا اليوم مع الأسف –يا سادة– عندما نجد الناس يَعملون على التقليل من أهمية المصالحة الوطنية، عِندما يَقولون هذه المصالحات لا فائدة منها، هذه المصالحات لن تُؤتي ثمارها، اعلموا مَن يتكلم بمثل هذا الكلام فَهو مِن خُدام بني صهيون علم أم جهل، لأنه يَعمل على دمار وخراب الوطن علم أم جهل، لماذا نحن العرب نُدمر كل عمل فيه خير وبر وسعادة للأمة العربية والإسلامية، وتَجد صِنفاً من الناس أيضاً يُقللون من انتصارات الجيش العربي السوري، فَعلى سبيل المثال عندما حرر جيشنا تحت أقدامه الجبارة مَدينة القصير، وحطم ما يزعم بالثورة السورية، ورأينا كيف كانت أسلحة بني صهيون تقتل هناك حتى أنه يوجد مقاتلون من بنو صهيون هناك، يتعاملون مع من يدعون الثورة، يتعاملون على من يدعون الحرية والديموقراطية، يتعاملون مع من يريد أو يدعي التغيير، ماذا قال الناس بعد ذلك –وأعني بهم المعوقين– قالوا: لولا أن حزب الله لم يُقاتل معهم ما انتصر الجيش، أيها السخفاء: أما تعلمون أن جيشكم سطر أسطورة تاريخية سجلها له التاريخ، أنه جيش عقائدي، أنه جيش يؤمن بوطنه ويؤمن بالدفاع عن وطنه وأهل وطنه، أين كنتم عندما تحققت الانتصارات في مناطق واسعة على امتداد ربوع هذا الوطن الحبيب؟ وأقول: وإذا كان حزب الله يُقاتل مع الجيش العربي السوري فأين المشكلة، أنتم رضيتم أن يُقاتل في سورية كل مُرتزق أتى مِن مختلف أنحاء العالم إلى هنا، لكي يقطع الرؤوس ويَنتهك الأعراض، ويُدمر البُنى التحتية ويشوه تاريخ حضارة عريقة، رضيتم بذلك ولم ترضون أن يُقاتل حزب الله إلى جانب الجيش العربي السوري دفاعاً عن هذا الوطن الحبيب، واعلموا أن حزب الله يَرُدُّ الدين، فلسورية دين عليهم، عندما وقفت إلى جانبهم في لبنان ودعمتهم في تحرير الجنوب، فحزب الله هم أهل وفاء وأهل حمية وأهل شهامة، لا يَستطيعون أبداً أن يَروا سورية تَحترق التي تدعمهم وتؤيدهم وتساندهم، وبعدها يَسكتون، فلماذا تُقللون من قيمة انتصارات الجيش العربي السوري العظيم، وهُناك مَن يُقلل أيضاً مِن عمل الحكومة، فإنك تسمع –مع الأسف– في الأنترنت وغيرها من الفزلكات، وهم يقولون: متى تَصلح الكهرباء، ويتكلمون نكتاً سَخيفة تَدل على حالهم السخيف وعلى عقولهم البليدة، فنحن في سورية على الرغم من الحرب الشرسة التي نَتعرض لها، ما زال رغيف الخبز في أفراننا، نأكل ونشرب بفضل الله وبحمده وبجهود الشرفاء

الطيبين، ما زالت لمبة الكهرباء تنير في مساجدنا وفي بيوتاتنا وفي شوارعنا، ولم تروا –أيها الحمقى المغفلون– ما يَفعله المرتزقة من ضرب لمحطة الكهرباء في محردة في حماة، حيث أبادوها عن بكرة أبيها بعد أن كلفت الشعب والحكومة مَلايين الليرات، لماذا تُراوغون وتُروجون أموراً تَخدم بني صهيون، ولكنني أقول لهؤلاء المعوقين: ألم تَسمعوا –أيها المعوقون المانعون للخير، المانعون للإصلاح، المانعون للأمن والاستقرار– ألم تسمعوا ما قالته والدة الشهيد عبد الرحمن الشلودي، وهي تقف على ركام بيت ولدها عندما دمرته إسرائيل، ألم تسمعوا ما قالت: إننا مقاومون وسنبقى ندافع عن القدس، وسنبقى ندافع عن فلسطين، وسنبقى ندافع عن الأمة العربية والإسلامية. هذا ما قالته تلك المرأة التي والله جَعلتني أتحول لكتلة من لهب، وأقول حارقاً لهؤلاء المرتزقة الذين جاؤوا لدمار سورية: لا تَموت أمة فيها أمثال هؤلاء الخنساوات، لا تموت أمة فيها شرفاء، لا يمكن أن تموت سورية ما دام فيها رجال عظماء يُدافعون عن هذا الوطن، ويَعرفون تضحية وكرامة هذا الوطن.

فيا أيها السادة: لا تمكنوا أذنيكم على الإطلاق لهؤلاء المعوقين، وإنني أريد أن أوجه رسالة إلى هؤلاء المعوقين: لقد دخلنا في العام الرابع من تاريخ هذه الحرب القذرة الشرسة الدنيئة، فإنني أقول لهم: لا تروجوا هذه الأكاذيب وهذه الدعايات السخيفة عند أصحاب العقول والضمائر الحية، فإذا أردتم أن تروجوها فاذهبوا إلى سوق البغال والحمير، اذهبوا إلى هناك فإنه كفانا ما أصابنا، كفانا من تألم، كفانا من تشرد، كم هناك من مراكز الإيواء من إنسان يَأن على داره بناه سنين طويلة وفقده في يوم واحد وفي لحظة واحدة، وكم هناك من مواطن اليوم يأن ويبكي يبحث عن ولد فقده لا يعرف أين هو أمن الأحياء أمن الأموات، كم هناك مِن أناس كانوا أصحاب عزة وكرامة ووجاهة ومال ووفرة بين الناس، واليوم أصبحوا يتسكعوا في الشوارع يَبحثون عن عمل يَسدون فيه جوع أولادهم وعُري أبنائهم، مَاذا فعلتم بسورية –يا سادة– ماذا فعلتم بهذا الوطن يا سوريون؟ أبناؤنا الأحباء، أقول: أبناؤنا، أنشادهم باسم الأبوة والأخوة، ألقوا السلاح وتعالوا إلى المصالحة الوطنية، ألقوا السلاح وقولوا نعم للمقاومة وللجهاد في فلسطين.

أيها المغرر بهم: لا يُوجد جِهاد في سورية، لا يوجد جهاد في العراق، لا يوجد جهاد في ليبيا، لا يوجد جهاد في مصر، لا يوجد جهاد في أي بلد عربي، مَن أراد الجهاد فليرحل إلى فلسطين، فليرحل إلى القدس الشريف، إنني أترحم وأوجه تحية عظيمة إلى الشهيدين الأخوين العظيمين الذين نفذا عملية كانت بَرداً وسلاماً على قلوبنا، وناراً وجحيماً على قلب نتنياهو الحقير، حيث صرح نتنياهو بَعد أن وقعت

عملية القدس قال: لقد كانت هذه العملية من أقسى العمليات التي حدثت في القدس، وإننا نقول من دمشق، من هنا من دمشق، نقول لك: أيها القذر يا نتنياهو، ستتوقع أكثر من ذلك، لأننا أصحاب حق، وأصحاب قضية، وأصحاب مصير، ونحن من سيدافع عن أرضنا وأعراضنا وقضايا أمتنا العربية، المتمثلة بقضية فلسطين، فارحل نتنياهو أنت وحلفاؤك من الشرق الأوسط، والله الذي لا إله إلا هو لا مَكان لكم هنا، لقد قالها لكم مرات كثيرة زعيم وسيد المقاومة "حسن نصر الله"، لكنكم لم تقتنعوا بعد من كلامه، حتى تذوقوا ويلات أكثر فأكثر فأكثر.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانيـ٢ـية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا الله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً سحاً غدقاً طبقاً مجللاً إلى يوم الدين، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، اللهم عاملنا بفضلك وإحسانك، ولا تعاملنا بعدلك يا الله، اللهم إنا نسالك أن تُعيد الأمن والاستقرار إلى رُبوع هذا الوطن الحبيب وسائر البلاد العربية والإسلامية يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العربي السوري، وأن تكون له معيناً وناصراً، اللهم ثبت الأرض تحت أقدامهم، وسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مديرية أوقاف دمشق